



(٩٠ . ٨٩)

المُقْتَدِرُ الْمَوْجِبُ

يقول ابن القيم رحمه الله: "فالعبد سائر لا واقف؛ فإما إلى فوق وإما إلى أسفل، إما إلى أمام وإما إلى وراء.

وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف البتة، ما هو إلا مراحل تطوى أسرع طي إلى الجنة أو النار؛ فمسرّع ومبطئ، ومتقدم ومتأخر.

وليس في الطريق واقف البتة، وإنما يتخالفون في جهة المسير، وفي السرعة والبطء، ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُوبِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۝٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ

﴿٣٧﴾ المدثر: ٣٥-٣٧، ولم يذكر واقفاً، إذ لا منزل بين الجنة والنار، ولا طريق لسالك إلى غير الدارين البتة.

فمن لم يتقدم إلى هذه بالأعمال الصالحة فهو متأخر إلى تلك بالأعمال السيئة".

والتقدم والتأخر بيد الله ﷻ، فكان من أسماء الله الحسنى: (المقدم والمؤخر ﷻ).

جاء في «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان من دعاء الرسول ﷺ

إذا قام من الليل: «فَأَغْضِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ -أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ-».

فربنا هو: المقدم والمؤخر ﷺ، منزل للأشياء منازلها، يقدم ما شاء منها ويؤخر ما شاء.

قدّم المقادير قبل أن يخلق الخلق.

وقدّم من أحب من أوليائه على غيرهم من عباده، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض درجات.

وقدّم من شاء بالتوفيق إلى مقامات السابقين، وأخر من شاء عن مراتبهم وثبطهم عنها، وأخر الشيء عن حين توقعه لعلمه بما في عواقبه من الحكمة؛ لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم.

وربنا ﷺ يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه، ويؤخر من يشاء عن ذلك لخذلانه.

والجمع بين الاسمين فيه: أدب وزيادة حسن؛ لأن الكمال في اقترانهما.

وَهُوَ الْمُقَدَّمُ وَالْمُؤَخَّرُ دَانِكَ
وَهُمَا صِفَاتُ الدَّاتِ أَيْضًا إِذْ هُمَا
الصِّفَتَانِ لِلْأَفْعَالِ تَابِعَتَانِ
بِالدَّاتِ لَا بِالْغَيْرِ قَائِمَتَانِ

□ والتقديم والتأخير..

كوني، وشرعي:

فمثال الكوني: تقديم الله ﷻ بعضاً من مخلوقاته على بعض في

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾

الخلق والإيجاد، ففي الحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ: الْقَلَمَ» حديث صحيح. رواه أبو داود، وخلق السماوات والأرض في ستة أيام، وقدم خلق الملائكة على خلق الجن والإنس، وقدم خلق الجن على خلق الإنس: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، وأول البشر خلقاً: آدم ﷺ، ثم تتابع بنوه في الخلق والوجود، فمنهم المتقدم، ومنهم المتأخر.

ولا يلزم من هذا: أن يكون المتقدم أفضل من المتأخر؛ فأدم خلق في آخر الأيام الستة، وله فضل هو وبنوه على كثير ممن تقدمهم في الخلق: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومحمد ﷺ آخر الرسل، وهو أفضل الرسل، وأتمته آخر الأمم، وهي أفضل الأمم.

وقد يكون المتقدم أفضل من المتأخر؛ فأبو الأنبياء إبراهيم ﷺ أفضل من كل الأنبياء والرسل من بعده؛ باستثناء نبينا محمد ﷺ.

وأما التقديم والتأخير الشرعي الديني: فقد قدم الأذان على الصلاة، وخطبة الجمعة على صلاة الجمعة، وللعبادات ترتيب خاص في الشروط والواجبات قد لا تصح العبادة دونها.

ومن التقديم الشرعي الديني: تفضيل بعض العبادات على بعض، وبعض العباد على بعض؛ فالفرائض أحب إلى الله من النوافل، وأفضل

البشر: الأنبياء والرسل، وهم متفاضلون فيما بينهم، ومن عداهم كذلك؛ منهم: المقدم، ومنهم: المؤخر.

والعبد المؤمن متى علم أن الله المقدم والمؤخر ﷺ: تعلق قلبه بالله وحده، وطلب منه الإيمان والثبات، وتوكل عليه؛ لأنه ﷺ لا مقدم لما أحر، ولا مؤخر لما قدم.

□ التقدّم الحقيقي:

ثم إن التقدّم الحقيقي النافع هو: التقدّم إلى طاعة الله ﷻ وجمته ومرضاته، والتأخر عن ذلك هو: التأخر المذموم؛ لأن الله ﷻ قال:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ مَنِ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٢) قال عمران: ١٣٣، وقال ﷺ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْرِفَةِ مَنِ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [لحديد: ٢١].

وصح عنه ﷺ أنه قال: «تَقَدَّمُوا؛ فَأَتَمُّوا بِي، وَلِيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ!» [أخرجه مسلم].

وأما التقدّم والتأخر في الدنيا؛ فليس بمقياس عند الله ﷻ، وليس بنافع.

ثم إن من دلالة الإيمان: تقديم من قدمه الله ﷻ، وتأخير من أخره الله ﷻ، وبذلك يكون ميزان التقديم والتأخير، والحب والبغض، والولاء والبراء. هو ميزان الله، فالله ﷻ قال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾

بَجَعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ نَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۗ سَاءَ مَا

يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ [الجاثية: ٢١].

اللهم يا مقدم ويا مؤخر! نسالك: أن تغفر لنا ، وتدخلنا جنتك،

وتجيرنا من نارك.

